إن الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسِنا، وسيئاتِ أعمالنا، من يهدِه الله، فلا مُضِلَّ له، ومن يضللْ، فلا هاديَ له.

وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبدهُ ورسوله.

أمّا بعـد:

فقد حازَ أهلُ المئة الثامنةِ المكانةَ العظمى في التاريخ الإسلامي قديماً وحديثاً ـ خلا القرونَ الثلاثةَ الأولى المشهودَ لها بالخيرية ـ بالكَثْرة الكاثرةِ من الأئمةِ والمصنِّفين، حتى بلغوا الآلاف بينَ فقيه، ومحدِّث، ومؤرِّخ، ولُغَويٍّ، ومفسِّر، على اختلاف مدارسهم ومَشاربهم، فما الظنُّ بقرنٍ عاش فيه الأئمة: ابنُ دقيقِ العيدِ، وابنُ تيميةَ، والبِرزاليُّ، والدِّمياطيُّ، وابن الزَّمَلْكانيِّ، وابنُ الشُّحنة، وابنُ الرِّفْعَة، والمِزِّيُّ، والذَّهبيُّ، والفاكِهَانيُّ، وابنُ عبدِ الهادي، وابنُ القيِّم، وابنُ قاضي شُهبةَ، وقطبُ الدين الحلبيُّ، ومُغُلْطَاي، وابنُ المُلَقِّن، والبُلقينيُّ، والفيروزأباديُّ، وغيرُ هؤلاء من الكُماة الأنجاد، والحُماة الأمجاد؟ حتى

جُمعت تراجمُهم وسِيَرُهم في مصنفات مفردة، من أوفاها: كتابُ الحافظِ ابنِ حجرٍ «الدُّرر الكامنةُ في أعيانِ المئةِ الثامنة».

وقد ضربوا ـ رحمهم الله ـ في كل فن من فنون العلم، واشتهر كل واحد منهم بفنٍّ، ولربَّما جمع غيرُ واحدٍ علوماً عدَّة، فحازَ لقبَ: «الإمام المتفنن، أو: ذي الفنون» جملةٌ منهم.

ومن قرأ سِيَرَهم، وطالع كتبَهم ومؤلفاتِهم، وقف على قدرِ وعظمِ شأنِ هذا القرن الذي لم يخرج من تراثه إلا النزرُ اليسير.

في هذا العصر المزدَحِم بالأكابرِ من علماء النقليَّات والعقليَّات، ومن بين هؤلاء الجِلَّة يبرزُ الإمامُ الحافظ، والفقيه المفسِّر: ابنُ كثير ـ رحمه الله ـ من مدرسة شيخ الإسلام ابن تيميةَ، والحافظَينِ المزيِّ والذهبيِّ، وغيرهم.

فكان له ـ رحمه الله ـ في علوم الحديث والفقه والتفسير القدمُ الراسخة، والباعُ الطويل، والمؤلفاتُ النافعة ذاتُ التحريراتِ الفائقةِ، والتنبيهاتِ الرائقة، وما كتاب «التفسير»، و«البداية والنهاية»، وغيرهما إلا شواهدُ صدق على ما نُعِتَ به هذا الإمام.

ويأتي كتابه « كتاب الأحكام الكبير» في مقدمة إبداعات كتاباته، ولو قدِّر له التَّمام، لكان على رَتْوَةٍ من كتب الأحكام.

فقد شرع ـ رحمه الله ـ في جمع كتاب كبير في الأحكام كما ذكر مترجموه، عزم فيه على ذكر الأحكام الفقهية بدلائلها الحديثية، وسوق الأسانيد والطرق والوجوه، والترجيح بينها، والكلام عليها، وما يعول عليه، وذكر آراء المذهب، وغير ذلك.

وكأنه ـ رحمه الله ـ قد انتهى من جمع هذه الموسوعة المطوَّلة، إلا أنه لم يبيِّض منها إلا ثلاثة أجزاء، كما ذكر الحافظ ابن حجر، وصلَنا منها هذا، وهو الجزء الثالث.

وظهر في هذا الجزء: تحريراتُ الإمام ابن كثير، وترجيحاتُه، وتنبيهاتُه، وبراعتُه في إيراد الأحاديثِ واستحضارِها، ودقةُ بحثه، وشموليتُه.

وبرزت فيه التحقيقاتُ الباهرةُ لمسائلَ عويصةٍ ـ هي أعلام المسائل وعيونُها ـ؛ كمسألة الجهر بالبسملة في الصلاة، والحروف السبعة، وغيرهما.

كما أفاد فيه في معرفة أحوال الرجال ـ صحةً وضعفاً، وقبولاً ورداً ـ وأسمائهم وألقابهم.

هذا ولا بدَّ من التنبيه إلى أهمية هذه القطعة الخطية من نفائس دار الكتب الوطنية التونسية العامرة، التي كتبت في حياة مؤلفها سنة (٧٧٠هـ)، والتي ربما كانت عزيزة الوجود بأيدي أهل العلم من بعد الحافظ ابن كثير حتى زماننا هذا، فالحمد لله حمداً كثيراً طيباً على توفيقه[1].

---

(١) كما نحمد الله تعالى على توفيقه في قراءة هذه القطعة وتصحيحها؛ لما حملته من رداءة الخط، مع الطمس والتحريف والتصحيف بين جنبيها، زاد ذلك رداءة التصوير، فكان إخراجها ـ أيضاً ـ على هذا النحو توفيقاً من الله ـ عز وجل ـ ومنَّة، فله ـ سبحانه ـ وحدَه الحمدُ والمنّة.

وفي الختام لا بد من تقديم الشكر والثناء لفضيلة الشيخ محمد ابن ناصر العجمي؛ لتنبيهه على هذا الكتاب، وحثه على العمل فيه، وتقديم النسخة الخطية له.

والشكرُ موصول للَّجنة العلمية التي أسهمت في إخراج هذا الكتاب على هذا النحو، وأخصُّ بالذكر منهم: الأخوين الفاضلين الباحثين: الأستاذ محمد خَلُّوف العبد الله، والأستاذ محمد عبد الحليم بَعَّاج ـ جزاهما الله تعالى خير الجزاء ـ.

هذا، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وَكَتَبَهُ

نور الدّين طالب

دومة العامرة

٢٠ محرم ١٤٣١هـ

❐ ❐ ❐